

## الدرس الثانى



الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

### فضل الدعوة إلى الله -جلّ وعلا-

- الحديث عن فضل الدعوة وأهميتها مما يُشجِدُ الهمة، ويُحرِّك النفس، ويُعرِّف الإنسان بمكانة هذا العمل، وهذه الوظيفة، وهذه المرتبة، وهذه المنزلة، التي يتوجَّه إليها.
- الدعوة إلى الله -جلّ وعلا- حينما نتكلَّم عن فضلها فنحن نتكلَّم عن الدعوة إلى الإسلام، أليس كذلك؟ والدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الله، والدعوة إلى الله -جلّ وعلا- هي دعوة إلى توحيده، وإلى تحقيق الإيمان به، وليس شيء أعظم من الله، وليس شيء أعزَّ من الدعوة إلى الله -جلّ وعلا- ولذلك كانت أشرف المقامات، وأعلى المنازل، وأرفع ما يكون من الوظائف.
- مَنْ يتحدَّث عن الدنيا كَمَنْ يتحدَّث عن الآخرة؟! لا، فبين ذلك فرقٌ شاسعٌ، هذه فانية، وتلك باقية، تلك فيها جنَّةٌ ونارٌ، وهذه إنَّما هي دارُ ابتلاءٍ وتمحيصٍ وتنغيصٍ، ليس فيها صفوٌ إلا ويتبعه كدرٌ وبلاءٌ ومحنةٌ.
- فإذا كان الأمر كذلك، فكيف تكون الدعوة إلى الله -جلّ وعلا- فلا يساويها دعوة إلى الخلق، ولا دعوة إلى أحدٍ، ولا دعوة إلى أمرٍ، فالفرقُ بينها كالفرق بين السماء والأرض، كالفرق بين الحق والخلق.

### أهم أولويات الدعوة.

- أهم ما يدعى إليه وهو: توحيد الله -جلّ وعلا- وعبادته ، لكن لا ننفلك من العلم من أن بعض الفضائل مصدرها الأهمية، أو الأولوية أو غيرها، فبينهما تقاربٌ وتداخلٌ؛ لأنَّ الحديث والباب واحدٌ.

- نرجعُ إلى أنَّ هذه أشرف الوظائف، ولذلك كانت وظيفة الأنبياء والرُّسل، وهذا هو الذي بالتَّحديد قد انتهى بنا الحديث إليه، حينما ذكرنا كم في كتاب الله -جلَّ وعلا- من آيةٍ فيها سياقُ دعوةِ أنبياءِ الله -جلَّ وعلا- ورسوله لأقوامهم وأهلهم وبلدانهم، وكم تكررَ ذلك في كتابِ الله من مرَّةٍ، وأُعيدَ فيه الحديثُ من كرَّةٍ، على أيِّ شيءٍ يدلُّ ذلك؟ حينما تأتي إلى ما في سورة آل عمران، سورة الأعراف، سورة هود، سورة يوسف، سورة الشعراء، سورة غافر، وكلِّ الآياتِ في كتابِ الله -جلَّ وعلا- فيها معرضٌ للحديثِ عن ذلك، لكن هذه من أبرزها، وفيها معاني تخصُّها، وإلا ما من سورةٍ من كتابِ الله -جلَّ وعلا- يكاد يخلو فيها الحديث عن الدَّعوة إلى الله -سبحانه وتعالى، ودعوة الأنبياء والرُّسل، ولأجلِ ذلك قالَ اللهُ -سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36]، فهذا فيه إشارةٌ إلى ما ذكرنا من الدَّعوة إلى توحيدِ الله، وفيه الإشارةُ إلى أنَّها وظيفةُ الأنبياء والرُّسل، ومثلُ ذلك آيات كثيرة، كقولِ الله -جلَّ وعلا: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: 165].

- لو قيل لك: هل شيءٌ أعظمُ من أن تخلصَ وتنزلَ وتعتليَ وظيفةً كانت وظيفةً لإبراهيمَ ولنوحَ ولموسى ولعيسى ولمحمدٍ صلى الله عليه وسلم؟
- والله لو كان مُلكًا، أو رئاسةً، أو وزارةً، أو تجارةً، أو جاهًا، أو قُل ما شئتَ، فلن يكونَ بأعظمَ من أن تسلكَ سبيلهم، وأن تتخلَّقَ بأخلاقهم، وتُمسكَ بزمامِ وظيفتهم التي بعثهم الله -جلَّ وعلا- لأجلها.
- العلمُ بأنَّ هذه الوظيفة أعظم الوظائف، هذا من أعظم ما يدعو الإنسان إلى أن يفرح بها، وأن يستمسكَ بها، وأن يتأهبَ لها، أيضًا لما كانت وظيفةً شريفةً فلا يُظنُّ أنَّ كلَّ سالكٍ لها يَقْدِرُ أن يمسكَ بزمامها، وأن يتربَّعَ على عرشها بدون أن يبذلَ ويجتهدَ، ويتعلَّمَ ويعلمَ، ويُضَيِّ لُجْلِ ذلك وقتًا طويلاً، ودهرًا من حياته كبيرًا.

### الدَّلالة على أهميَّة الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا.

- قول الله -سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].
- هذه الآية من أعظم الآيات الدَّالة على شرفِ الدَّعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- وعظيم منزلتها، وجاءت بالاستفهام، وهو استفهام تقريرِي، يعني لا شيءٌ أحسنَ، نفِي لتقريرِ أنَّ الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا- أحسن الأشياء، ومن المتقرَّر في عِلْمِ الأصول: أنَّ الاستفهام في سياق النِّكرة يدلُّ على العموم، يعني لا شيءٌ أحسنَ من ذلك، لا شيءٌ أتمُّ من ذلك، لا شيءٌ في هذه الدُّنيا يُمكنُ أن يكونَ مثلَ الدَّعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- والوصول إلى هذه المنزلة.
- لما يقول الله -جلَّ وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 110]، هذه آية عظيمة، فإنَّ فيها خصوصيَّة ليست لأُمَّة من الأمم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ما خيريتها؟ ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، ولذلك أشار ابن كثير -رحمه الله تعالى- إلى كلامٍ لطيفٍ في هذا، ومن ضمن ما ذكره في ذلك أنَّه نقل ما جاء عن ابن عمر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- قوله: إنَّ خيرية

هذه الأمة في تحصيل هذه الوظيفة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: وَمَنْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا فَإِنَّهُ سِيلْحَقَهُ شَرٌّ مَا كَانَ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: 79]، فتأمل هذه الخيرية، وتأمل ضدها؛ لتعرف أين منزلتك في ذلك.

• وجاء عن الحسن البصري في قول الله -جلّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ [فصلت: 33] كلام لطيف، قال: "هَذَا حَبِيبُ اللَّهِ، هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ، هَذَا صَفْوَةُ اللَّهِ، هَذَا خَيْرُهُ اللَّهُ، هَذَا أَحَبُّ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، أَجَابَ اللَّهُ فِي دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا فِي إِجَابَتِهِ، وَقَالَ: إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا خَلِيفَةُ اللَّهِ"<sup>١</sup>، فهي إشارة إلى حقيقة الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى- وما تسلمه من لواء الدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- وتحقيق التوحيد لله، وهداية الناس إليه.

• مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ فِي حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»<sup>٢</sup>.

حُمْرُ النَّعَمِ: هي الإبل، وكانت الإبل أعظم ما يُتملّك ويُتفاخر به عند العرب، فكان هداية الخلق، ودعوتهم إلى الله -جلّ وعلا- أعظم من امتلاك تلك الإبل الحسنة، التي يتفاخر الناس بها، ويتعاطمون، ويسودون، ويتوجّهون.

• مهما كان الإنسان لا يُعبأ به، مهما كان الإنسان ليس ذا مالٍ، مهما كان الإنسان ربّما كان قليل ذات اليد، لباسه مُرَقَّع، أو حالته كفاف، فلأن يهدي فيكون داعيًا إلى الله فيهدي به الخلق؛ خيرٌ ممّن صَفَّقَتْ لَهُ الْجُمَاهِيرُ، أو تداعى الناس إليه، أو تسامعوا بجاهه، أو أعلنوا بذلك عبر ما جدّ للناس من هذه المواقع، في الإشادة به بذكر أنواع ماله، ما وصل إليه من الحال، وما ارتفع به من المنزلة، خصائص اعتادها في حياته لا يكاد الناس يسمعون بها، كل ذلك لا يفيد، إنّما الذي يفيد هو هذا، ولذلك إذا أردت أن تعرف هذا، فالنبيّ صلى الله عليه وسلم لما ذكر «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِهِ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ»<sup>٣</sup>، هذا في إعتاقه من رقّ البشر، فكيف إذا كان ذلك إعتاقًا له من عبودية غير الله -جلّ وعلا- فإنه أعظم، وأزكى، وأرفع عند الله -سبحانه وتعالى-.

• وأيضًا من الأدلة في هذا: مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا»<sup>٤</sup>.

وفي الرواية المشهورة: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً حَسَنَةً»<sup>٥</sup>، وكلاهما في الصحيح، هذا أيضًا دالٌّ على عظم هذه المنزلة، وحسبك إن لم يستطع الإنسان أن يعرف ما بلغت دعوته، لكنّ الله -جلّ وعلا- لا تخفى عليه خافية، فربّما قلت كلمة، ولم يعبأ الناس بها، لكن تلقّاها متلقٍ، فتلقّاها عن آخرٍ، فتلقّاها عنه رابعٌ، فتلقّى

<sup>١</sup> ذكره الطبري والقرطبي وابن كثير في تفسير قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

<sup>٢</sup> صحيح البخاري (3701).

<sup>٣</sup> صحيح البخاري (6715).

<sup>٤</sup> صحيح مسلم (4837).

<sup>٥</sup> صحيح مسلم (1017).

عن الرَّابِعِ خَامِسٍ إِلَى السَّادِسِ إِلَى الْعَاشِرِ، وَالْعَاشِرُ تَلَقَّاهَا مِنْهُ مِائَتٌ أَوْ أَلْفٌ أَوْ مِلايِينَ النَّاسِ، فَكَانَ الْأَجْرُ الْأَوَّلُ لِمُصَاحِبِهِ، وَرَبَّمَا كَانَ قَدْ فَنِيَ، وَرَبَّمَا كَانَ قَدْ مَاتَ، وَتَحَلَّلَتْ أَجْزَاؤُهُ، لَكِنْ أَجْرُهُ بَاقٍ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»<sup>٦</sup>، فِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى تَمَامِ أَجْرِ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَتَضَاعُفِ فَضْلِهِمْ.

• انظر إلى كم مكث الرُّسُل وهم يدعون؟ هذا نوح على سبيل المثال، أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، يَعْنِي النَّاسُ حِينَمَا يَتَدَاعَوْنَ إِلَى شَيْءٍ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَيَتَدَاعَوْنَ إِلَيْهِ فِي وَسِيلَةٍ وَثَانِيَةٍ وَثَالِثَةٍ، لَا يَأْتِي عَلَيْهِمْ يَوْمٌ أَوْ يَوْمَيْنِ، أَوْ ثَلَاثَةٍ، أَوْ أَرْبَعَةٍ، حَتَّى يَمْلُؤُوا وَيَكْلُؤُوا، فَلَوْ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَشَيْءٌ كَبِيرٌ، وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ، لَمَا كَانَ لَهُ لِأَنَّ يُمْكِتَ فِيهِ هَذَا الدَّهْرُ كُلَّهُ - أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا.

تَعَالَى إِلَى مَا ضَحُّوا بِهِ، رَبَّمَا ضَحُّوا بِأَمْوَالِهِمْ، رَبَّمَا ضَحُّوا بِأَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَتَرَكَ النَّبِيُّ وَلَدَهُ، وَتَرَكَ النَّبِيُّ زَوْجَهُ، وَفِي هَذَا قِصَصٌ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

• مَا نُرِيدُ أَنْ نَقُولَهُ: هَذَا الَّذِي حَقَّرَ النَّفُوسَ، وَشَحَذَ الْهَمَمَ لِلدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِأَبَدٍ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَصْلٍ صَحِيحٍ، وَسَيَأْتِي الْحَدِيثُ بِإِذْنِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ عَنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ سَمِعَ عَنْ فَضْلِ الدُّعَاةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَسَلَّمَ الْلِوَاءَ، وَهُوَ لَيْسَ بِأَهْلٍ، فَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى جَهْلِ فَيَتَخَبَّطُ، يَوْمًا يُصِيبُ الْحَقَّ، وَمَرَّةً لَا يُصِيبُهُ، وَمَرَّةً يَأْتِي بِالشَّيْءِ عَلَى وَجْهِهِ، وَمَرَّةً يَصْرِفُ النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الضَّلَالِ، فَهَذَا فَلَا يُؤْخَذُ الْفَضْلُ مُنَبِّتًا، ثُمَّ يُتَدَاعَى النَّاسُ إِلَى شَيْءٍ لَا يَعْرِفُونَهُ، إِنَّمَا يُؤَمَّرُ بِالشَّيْءِ عَلَى وَجْهِهِ، وَوَجْهُهُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - بِهِ سَيَأْتِي مِنَ التَّسْلُحِ بِسِلَاحِ الْعِلْمِ وَالْإِخْلَاصِ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنْ أَشْيَاءَ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُذَكِّرُ فِي هَذَا: أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ وَعَلَا - جَعَلَ الدُّعَاةَ نَوْعًا مِنَ الْجِهَادِ ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: 52]، "جَاهِدْهُمْ بِهِ" الضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى مَاذَا؟ إِلَى الْقُرْآنِ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "جَاهِدْهُمْ بِالْحِجَّةِ

وَالْبَيَانِ"<sup>٧</sup>، وَالْجِهَادُ مَعْلُومُ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمَّا كَانَتِ الدُّعَاةُ إِلَى دِينٍ - جَلَّ وَعَلَا - لَا تَتَحَصَّلُ إِلَى يَهْدِينَ، بِالسَّيْفِ

وَالسَّنَنِ، وَبِالْحِجَّةِ وَالْبَيَانِ، فَإِنَّ الْحِجَّةَ وَالْبَيَانَ أَصْعَبُ مِنَ السَّيْفِ وَالسَّنَنِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ حَمَلَ سِلَاحًا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقَاتَلَ، إِنْ كَانَ ضَعِيفًا أَوْ قَوِيًّا، لَكِنْ بَابُ الْحِجَّةِ وَالْبَيَانِ يَحْتَاجُ إِلَى جَهْدٍ جَهِيدٍ، وَعَمَلٍ طَوِيلٍ، وَتَفَانٍ فِي الْأَوْقَاتِ، وَتَعَرُّضٍ لِلْأَشْيَاخِ وَلِمَجَالِسِ الْعِلْمِ وَغَيْرِهَا، حَتَّى يَتَصَدَّرَ الْإِنْسَانُ لَوَاءَ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا.

وَلِذَلِكَ كَانَ الدُّعَاةُ قَلِيلٌ مُقَارَنَةً بِمَنْ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - بِأَنْفُسِهِمْ وَبِأَسْيَافِهِمْ وَعَدَّتِهِمْ وَعَتَادِهِمْ.

## ❓ كَيْفَ نَتَعَرَّفُ إِلَى الْحَاجَةِ إِلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

• لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ يَتَكَوَّنُ مِنْ بَدَنِ وَرُوحٍ، وَكَانَ الْبَدَنُ غِذَاؤُهُ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، فَكَانَتِ الرُّوحُ غِذَاؤَهَا الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَالْقِيَامُ عَلَى أَمْرِهِ، فَلَا يَنْفَكُ بَدَنٌ مِنْ رُوحٍ، فَمِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ يَدُلُّ عَلَى الْحَاجَةِ.

<sup>٦</sup> صحيح مسلم (1893).

<sup>٧</sup> ذكر القرطبي والطبري وغيرهم قول ابن عباس في تفسير الآية: "قال ابن عباس: أي جاهدكم بالقرآن"، [جامع البيان]، الجامع لأحكام القرآن.



- فهذه الأبدان إنما هي سفينة الأرواح، والأرواح هي التي لها الحياة، فإذا كانت الأبدان تحيا بالشَّرابِ والطَّعام، وبكسرة الخبز ولقمة العيش، فإنَّما تحيا الأرواحُ بكتابِ الله -جلَّ وعلا- وبما يُصقِّيها، ويذهب عنها دَرَنُها، كالْتعلُّقِ بغيرِ الله، والتعلُّقِ بالمخلوقين، والتعلُّقِ بما لا ينفع شيئاً، ولا يُعطي خيراً؛ فمتى ما صَفَّتِ النَّفْسُ عن ذلك وترَفَّعتْ؛ انقادت وتذَلَّلت وخضعت، وعَبَدَتِ الله -جلَّ وعلا- الذي يستحقُّ العبادة، تسجد ولا تسجد إلا لله، تذبح ولا تذبح إلا لله -جلَّ وعلا- كل ذلك يتحقَّقُ به العلم بالحاجة إلى الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا-، التي بها تحيا الأرواح، فكما أنَّنا نَظُنُّ أنَّ أهلَ هذه الأرض في شرقها أو غربها، أو شمالها أو جنوبها، أو أحداً كانوا من كان، في عرض جبل، أو في بطن وادٍ في المدينة، أو في الغابة، أو على حافة نهرٍ، أو غير ذلك، متعلم أو غيره؛ لا يمكن أن ينقطع عن الطَّعامِ والشَّرابِ، فكذلك حتى تحيا الأرواح فإنَّه لا ينبغي أن يُقطع النَّاسُ أو يُحال بينهم وبين حياة أرواحهم.
- وهذا هو الذي يجزُّنا أو يستدرجُ الحديثَ إلى حاجة النَّاسِ، ما وصلَ إليه البشريَّة، كيف وصلت البشريَّة في هذه الأزمنة؟ ومنذ زمنٍ بعيدٍ مِنَ التَّرهات، وَمِنَ البلاءات، مِنَ الشُّرورِ، مِنَ الانقطاعِ والضَّلالِ والغواية، هؤلاء الذين عبدوا غير الله -جلَّ وعلا- فلم يَرُدَّهم شيءٌ حتى عبدوا أهل القبور الذين لا يصنعون شيئاً، فهم أمواتٌ غير أحياء، والذين عبدوا الشَّجرَ والبقرَ، الذين عبدوا حتى الفئران والحشرات، يعني أيُّ بلاءٍ وصلَ إليه النَّاسُ أعظم من هذا البلاء؟
- فإذا حصلَ الآن في الأرض وباء، ومات عشرة أو عشرين أو خمسين في بلد؛ أعلنوا أنَّه وباء عالمي، وتتم محاصرته، والحجر الصَّحي، وما يسافر أحد إلى هذا البلد، ويسوون إجراءات السَّلامة والوقاية عبر الطَّائرات، أليس كذلك؟ ويموت عشرة أو مائة وقد تَلَطَّخوا بالشَّركِ وعبادة غير الله -جلَّ وعلا- حتى مَنْ كانوا على عبادة الله مِنَ النَّصارى، ما حصل عندهم مِنَ البقاء على ملتهم مع علمهم بما يلحق دعوتهم من دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الإسلام الذي أمروا باتِّباعه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>٨</sup>.
- هذا يدلُّك على عِظَم ما وصلَ إليه النَّاسُ من الارتكاسِ، وإذا ذهبنا إلى الأدغال أو الغابات، أو أهل الجبال، مَنْ لم تتابعهم عدساتُ التَّصويرِ، وتُظهرهم إلى العالم، فهذا شيءٌ لا يحيطُ به إلا الله -سبحانه وتعالى- مِنَ أنواعِ البلاءِ والفتنةِ والشَّرِّ والمحنةِ التي وصلت بالنَّاسِ. فهذا الذي نتكلَّم عليه هو ما نُقل وشُوهِد وعُلم، فكيف بما لم يُنقل! وهو أكثر؟
- إذا انتقلنا إلى ما هو أخصُّ، دع عنك من لم يؤمن بالله -جلَّ وعلا- حتى الذين آمنوا، حتى الذين قالوا: لا إله إلا الله، الذين يرفعون الشَّهادة في كلِّ صباحٍ ومساءً، ويشهدون أنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما حالهم في صلاح عبادتهم، في استقامة دينهم، في معرفتهم بشرائع ربهم؟ سواءً في ما كان أهمِّ الأمور، وألزم الأشياء، وأهمِّ المهمَّاتِ مِنَ شرائع الإسلام الخمسِ، أوركائزه الخمسِ، أو ما يتبع ذلك من أحكامٍ وتعاملاتٍ

(٨) صحيح مسلم (153)، ولفظ الحديث: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ لَا يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ".

وغيرها؛ فالجهلُ فاشٌ في النَّاسِ، ونخشى أن يكون هذا الوقت قرب من الوقت الذي بلغ به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم- إن لم يكن هو، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ مِنَ النَّاسِ انْتِزَاعًا ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ ، فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيُتْبِقِي فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَالًا يُفْتَوْنَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ»<sup>٩</sup>.

- الضَّلَالُ كثيرٌ، البلاءُ كثيرٌ، سواءً كان في ذلك ممَّا يتعلَّق بالأعمالِ الشَّرَكِيَّةِ، أو كان ما يتعلَّق بالأعمالِ البدعيَّةِ، ما يتعلَّق بالأهواءِ، ما يتعلَّق بالطَّرَائِقِ المنحرفةِ، سواء فيمَن يَسُبُّ آلَ النَّبِيِّ، أو يَسُبُّ أصحابه، أو يَخْرُجُ ويستبيحُ دماءَ المسلمين، قلْ مثل ذلك أشياء كثيرةٌ جدًّا، مَنْ يتعبَّدون ويجهِّدُون أنفسهم لكن على ضلالةٍ وعلى بلاءٍ وفتنةٍ، وهذا حديثٌ لو استنطقنا الحجرَ لنطقَ مِنْ شِدَّةِ ما وصلَ إليه الأمرُ، حتى تعبَّد النَّاسُ بما لا يكاد يصدِّقه العاقل من الارتكاسِ في الجهلِ والبلاءِ والفتنةِ.

### ؟ هذا إلى أي شيء يدعوننا؟

- إلى أن نوَدِّي الواجب الذي أوجبه الله -جلَّ وعلا- علينا، إلى أن نتحمَّلَ هذه الجمالة ونأخذها بجِدٍّ وبحَقِّها، ولذلك قال الله -جلَّ وعلا- عن نبيِّه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]، ليس بالأمرِ اليسيرِ، ليس بالأمرِ الصَّغِيرِ، ولكنَّه قولٌ ثَقِيلٌ، وإذا كان هذا صفِيَّه من خلقه، ومع ذلك بيَّن الله عِظَمَ هذا القول الذي سيتلقَّاه، ولذلك كان إذا أُوحي إليه يتصفَّدُ جبينه عرقًا في شِدَّةِ البردِ<sup>١٠</sup>، من عِظَمِ هذا الأمرِ، للدَّلالةِ على كبره وأهميَّته، فإذا كان هذا هو حال نبيِّنا، فلنعلم أنَّا كذلك، ولما عظمَت الحاجة، تعلَّقت بنا عِظَمُ المسئوليَّةِ.

- إذا كان للدَّعوةِ فضلٌ وأهميَّةٌ من جهةٍ ما جاء فيها من التَّصوُّصِ، ومن جهةٍ ما تعلَّق بها من الأجرِ والثَّوابِ، ومن جهةٍ ما يحصلُ بها من الخيرِ والهُدَى، فإنَّ ذلك يَعِظُمُ بما شاعَ في النَّاسِ من الجهالاتِ، وما انتشرَ من البدعِ والضَّلالاتِ، وما عمَّ وطَمَّ، حتى صارَ كالبحرِ المتلاطمِ، كالأُمُوجِ الهائجةِ، التي أغرقت جُمُوعَ المسلمين، إلا مَنْ رحمَ الله -جلَّ وعلا- فاستنار بنورِ العلمِ، واستعصم بهدي الكتابِ والسُّنةِ، فأنازَ الله بصيرته، وعبدَ الله -جلَّ وعلا- على هُدًى وصوابٍ.

- جانبٌ آخرٌ إذا نظرنا إليه هو كالمكمِّل لهذا الجانبِ، وهو عِظَمُ وكثرةُ مَنْ يتصدَّى للدَّعوةِ إلى الباطلِ، سواء الدَّعوةِ إلى الوثنيَّةِ، الدَّعوةِ إلى الإِشْرَاقِ بالله -جلَّ وعلا- الدَّعوةِ إلى الأديانِ المبدَّلةِ والمنسوخةِ، كم جُنْدٍ لذلك من أناسٍ؟ كيف وصلوا إلى أطرافِ الجبالِ؟ إلى بلادٍ لا يكاد يُوصَلُ إليها، كيف أنفقوا من أموالٍ وملياراتٍ؟ كيف جَنَدُوا لأجل ذلك من قنواتٍ ووسائلٍ إعلامٍ؟ بل إنَّكم لتعلمون أنَّه سُخِّرت سياساتٌ دولٍ، وتبعَت ذلك التَّسهيلاتُ من دعوة النَّاسِ إلى الضَّلَالِ ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى، وهذا أمرٌ لا يكاد يخفى، حتى إنَّ الحروبَ التي هي الحروبُ، والتي يكون بها الطَّرْدُ والتَّشريدُ والتَّقْتِيلُ والحبسُ والسِّجْنُ وإلى غير ذلك يَأْبُونُ إلا أن تُستَغَلَ للتَّهْوِيدِ والتَّنصِيرِ والدَّعوةِ إلى تلك الدِّياناتِ الباطلةِ.

<sup>٩</sup> صحيح مسلم (4835).

<sup>١٠</sup> لفظ الحديث: " كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ثَقُلَ لِلذَّكَاءِ، وَتَحَدَّرَ جَبِينُهُ عَرَقًا..." صححه الألباني في صحيح الجامع (4792)

- إذا ما نظرنا إلى المسلمين كم من الدَّعوات الضَّالة التي تأتي عليهم؛ أليست دعوات كثيرة يا إخوان؟ كثيرة للغاية، يعني الدَّعوة إلى المناهج المنحرفة، الدَّعوة إلى الأفكار الباطلة، الدَّعوة إلى المعاني المضلَّة، سواء كان ذلك إلى عبادات طقوس صوفيَّة، أو إلى مسالك منحرفة، أو تشويه الإسلام بالليبراليَّة، أو العلمانيَّة، أو كان ذلك، وهو الذي اصْطَلَى النَّاسُ بناره في هذا الوقت، وهي ما جرى من استباحة الدِّماء، وتكفير النَّاسِ، والإسهال في القتل والتَّشريد، والبلاء على الإسلام والمسلمين.
- وأعظم ما في ذلك أنَّها شوَّهت صورته، وراها النَّاسُ بغير المعين الصَّافي، الذي جاء به نبيُّنا صلى الله عليه وسلم، وتبع ذلك البلاء على المسلمين، حتى تداعى الشَّرْق والغرب بسبب هذه الممارسات إلى الشَّرِّ الكبير والبلاء العظيم.
- ما يدلُّ على الحاجة إلى الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا- هؤلاء المتصدُّون ما حالهم؟ كثيرٌ منهم أجهلٌ من جِمار أهله، جهل كثير مع ما أُوتي من العاطفة والبذل والتَّضحية والسَّفر والتَّجريد وترك كثيرٍ من حظوظ الدُّنيا وشهواتها، والانغماس في رغباتها، وخلَّص نفسه ليدعو إلى الله -جلَّ وعلا- لكنَّ دعوته كانت على غير أساسٍ، على غير أصلٍ، على غير منهاجٍ رصينٍ، فأشبهه ممَّن يزيد الطَّين بلاءً، والبلاء بلاءً، فلمَّا تصدَّى للدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا- هؤلاء الجُهلة، هؤلاء الذين شوَّهوا صورة الإسلام، هؤلاء الذين يدعُّون إلى غير دين الله -جلَّ وعلا-، وإن ظنُّوا أنَّهم على هدى أو حقٍّ أو صوابٍ، هذا ممَّا يزيد في أهميَّة أو في الحاجة إلى الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا- لمن استطاع أن يعرف مقامه فيها، وأن يؤدِّي حقَّها، وأن يقوم بها على منهاج النُّبوة، على دعوة أهل السُّنة والجماعة، بعلمٍ وهدى، وبصيرةٍ ونُهَى، وبُعِد عن الضَّلالات والرَّدَى.
- ولو استعرضنا أمثلةً، أو دخلنا في بعض التَّيارات، لرأينا في ذلك شيئاً كثيراً، أعظم من هذا أيضاً وهو أمرٌ مهمٌّ لا بدَّ أن تنتبهوا له، أنَّ ممَّن تصدَّى إلى الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا- أناسٌ جُنِدوا لتشويه الإسلام، فأرادوا أن يختزلوا الإسلام في مظاهرٍ، أو في شعاراتٍ، أو في بعض العبادات، ويُنحُوا الإسلام برمته عن حياة النَّاسِ، وعن قلوبهم، وعن أيامهم ولياليهم، فجعلوا ذلك إمَّا في بعض الشَّعائر أو في بعض الممارسات وانتهوا، بعضهم يجعله في الصَّلَاة والزَّكاة، أو في الصَّلَاة والحجِّ، أو في الصَّيام، بعض الأشياء الأخرى، بعضهم يجعلها في التَّكاح أو المواريث أو غيرها، وما سوى ذلك يكون النَّاس فيه سواء.
- أيضاً جعل بعض الشَّعارات الزَّائفة التي يُرَوَّج لها الكفَّار ومَن جهل من أهل الإسلام فأراد أن يُسَوِّق مثلاً الشُّيوعيَّة على أنَّها شيء من الإسلام، أو أنَّ الإسلام جاء بها، أو الدِّيمقراطيَّة، أو غير ذلك، أو حتى بعض الأشياء الباطلة، كبعض الدَّورات التي يتعاطاها النَّاس إنَّما هي مستقاة من ديانات البوذيين وغيرها من ديانات شركيَّة، ألبست بلبوس بعض الأدلَّة، أُجيب بما يسندها من بعض ما جاء في السُّنة النُّبويَّة، فظنَّ أنَّ ذلك أصلٌ لها، فصَحَّح كلُّ ما جاء في تلك الدَّورات، فابتلي النَّاس في ذلك ببلاءٍ عظيمٍ.
- ما جاء في السُّنة من الدَّعوة إلى الله، البلاغ، تأدية الهدى، الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، وجاءت بعض الأدلَّة في هذا، أو بعض الألفاظ، كلُّها متقاربة، من ذلك: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى...»<sup>١١</sup>، «لأنَّ يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلًا

<sup>١١</sup> صحيح مسلم (4837).

وَأَحَدًا...»<sup>١٢</sup>، «مَنْ دَلَّ...»<sup>١٣</sup>، الدَّلالة والإرشاد ونحو ذلك، «يَلْغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»<sup>١٤</sup>، البلاغ والتبيين والتوضيح. أيضًا: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، ثُمَّ أَذَاهَا إِلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا»<sup>١٥</sup>، إذن التَّأدية والبلاغ جانب منها. «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ»<sup>١٦</sup>، «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ»<sup>١٧</sup>، كُلُّهَا تدلُّ على أمرِ الدَّعوةِ إلى الله -جلَّ وعلا.

• هل بينها فرق؟

الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا- جاءت بعبارة "الدَّعوة" وجاءت بعبارة "البلاغ والتَّأدية" وهكذا، وهذه تكاد تكون شيئًا واحدًا، لكنها أبواب من الدَّعوة إلى الله -سبحانه وتعالى.

**هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة إلى الله -جلَّ وعلا-، وهل هما شيء واحد وأسماء لحقيقة واحدة؟ أم بينهما فرق؟**

• ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: 104]، هذه الآية بخصوصها هي التي حصل بسببها الكلام؛ لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عطفَ على: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، فبناءً على ذلك الأصل في العطف أنَّه يدلُّ على المغايرة والتَّباين، فهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخالفًا للدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا؟

• هذا فيه كلام، أكثر ما يُمكن أن يُقال: أنَّ بعضَ أهل العلم يقول: هي شيء واحد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بابٌ من أبواب الدَّعوة إلى الله -جلَّ وعلا.

وهنا يقول في الآية ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾، الخير: هو الإسلام.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الدَّعوة إلى ما في الإسلام من الخير والهدى وحبِّ النَّاس على الأمر والنهي ونحو ذلك.

**ما حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ما المعروف وما المنكر؟**

• المعروف: كُلُّ ما أَمَر به الشَّارِعُ، يعني المعروف ممَّا حصل العلم به والمعرفة، لكن المقصود هنا في باب الشَّرْع: هو ما جاءت معرفته أمرًا معروفًا متقررًا من جهة الشَّارِع، من جهة الكتاب والسُّنة.

• والمنكر: ما أنكره الشَّرْع؛ لأنَّه ربَّما تُنكر النَّفوس شيئًا ممَّا لا ترضاه، وهو صحيح، والعكس بالعكس، فبناءً على ذلك: لا اعتبار بالنُّفوس والأذواق وغيرها، وإنَّما الميزان ميزان الشَّرْع.

<sup>١٢</sup> صحيح البخاري (3701).

<sup>١٣</sup> صحيح مسلم (1893).

<sup>١٤</sup> صحيح البخاري (3461).

<sup>١٥</sup> مسند أحمد (16388).

<sup>١٦</sup> مسند أحمد (22690).

<sup>١٧</sup> مسند أحمد (11246).



✓ منهم مَنْ قال: إِنَّ بينهما فرق، فبعضهم نقل عن أبي العالية أنه قال: "الأمر بالمعروف: هو الدَّعوة إلى التَّوحيد، والنهي عن المنكر: هو الدَّعوة إلى النهي عن الإشراك"<sup>١٨</sup>.

✓ وقد يُقال أَنَّ هذا ليس بصوابٍ، وقد نقول أَنَّهُ على طريقةِ السَّلفِ أَنَّ هذا الجواب هو جوابٌ بالمثال، وهذا مشهورٌ عندَ السَّلفِ كثيرًا، فيقصد أَنَّ هذا أعظمه، أو هذا بابه، أو هذا أتمُّ ما فيه وأكمل.

✓ ومنهم مَنْ قال: إِنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر -وهذا أخصُّ ما قيلَ وأهمُّ ما يمكنُ أن يُقالَ لِمَنْ يُفرِّق بينهما- وهو: أَنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكر، هو أخصُّ من الدَّعوة، فهو إبانةٌ عن الحقِّ في وقتِ الحاجةِ إليه، إمَّا لشخصٍ احتاجَ إلى أن يقومَ بالواجب فلم يقم به، أو شخصٌ فعلَ ما لا يجوزُ له فعله، فيجبُ التَّنبيه عليه، ويتحقَّق بذلك الأمر والنَّهي، والقيام بهذه الوظيفة والخصيصة، وهي خصيصة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

• الدَّعوة بأبها أوسع، تأسيس، ابتداء، تنبيه، قد يكون فيه ما هو واجب، وما هو مستحبٌّ، وأمَّا التَّرقِّي في درجاتِ الفضائلِ فبابه أوسع، بل قد يدخل فيها من باب الإحسان إلى الخلق وحثُّهم على ما يكون فيه صلاح أمور دنياهم، وهذا جاءت به السُّنَّة.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه. وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.



<sup>١٨</sup> ذكره الطبري في جامع البيان، في تفسير قوله: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }. قال: "عن أبي العالية قال: كل ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ف"الأمر بالمعروف"، دعاء من الشرك إلى الإسلام، و"النهي عن المنكر"، النهي عن عبادة الأوثان والشياطين" (ج 14 ص 348).